ظاهرة النحت من أشكال الاشتقاق

د. مصطفى عبد الحفيظ

الاشتقاق من أهم مباحث فقه اللغة ، شغل العلماء قديما وحديثا ،وحظيت دراسته باهتمام كبير نظراً لما له من أثر خطير فى تطويع اللغة ، وإثرائها ، وتوسيع نطاق أدائها بتشكيل أصول مادتها للحصول على صيغ مختلفة لاتمحى فيها هذه الأصول ، ولا تنقطع الصلة فيها بالمعنى الأصلى .

والاشتقاق على هذا يدلنا على أصول المادة وفروعها ، ويكشف لنا عن الروابط المادية والمعنوية بينها ، كما يطلعنا على الأشكال التى يمكن صياغتها من تلك الأصول .

ويتيسر للغة عن طريقه استغلال بضعة حروف فى صوغ أشكال عديدة من الكلمات تؤدى معانى خاصة جديدة ، تضاف إلى المعنى الأصلى المشترك بينها .

ومن ثم تحتفظ اللغة بالأصلين « المادة والمعنى » بالاضافة إلى أستثمار قوالب ودلالات فرعية جديدة تمكنها من مواكبة سير الحياة فى أطوارها الحضارية المتلاحقة .

والاشتقاق أنماط تهدف إلى اثراء اللغة فى المادة والمعنى أهمها :

* وسائل تصريفية كثيرة ، تلحق الأصول فتغير صورها لتعطى دلالات جديدة ، منها ما يضاف إلى أول الكلمة « سوابق Prefixes » كحروف المضارعة ، والألف والسين والتاء فى استفعل . ومنها ما يدخل حشو الكلمة « دواخل infixes » كألف قائل وتاء افتعل . . . الخ .ومنها ما يلحق آخر الكلمة « لواحق suffixes » كالألف والنون ، والياء والنون

فى المثنى ، والواو والنون ، والياء والنون فى جمع المذكر السالم ، والضمائر المتصلة التي تلحق الفعل الماضى . . الخ .

وكذلك التغييرات التي تعترى الأصول فى توليد صيغ اسم الفاعل ، والمفعول . والصفة المشبهة ، وصيغ المبالغة ، والتفضيل ، وأسماء الزمان والمكان والآلة . . . الخ . وهذا ما يسمى بالاشتقاق الصغير ، والتصاريف فيه تعود إلى أصل واحد ، وتحمل فى ثناياها معنى هذا الأصل .

* ونوع آخر تتبادل فيه حروف المادة الأصلية أماكنها للحصول على عدة صور ، تؤدى كل منها معنى ، وتلتقى معانيها جميعا حول معنى واحد أصلي يلمح فى كل منها . غير أنه يحتاج فى ادراكه إلى مقدرة لغوية فائقة . فالمادة « س ل م » تصير إلى سمل ولسم ، ولمس ، ومسل ، وملس . ومعانيها جميعا تدور حول معنى عام هو الاصحاب والملاينة . وهذا ما يسمى بالاشتقاق الكبير . وسنعرض له مفصلا .

* وشكل آخر : يتماثل فيه حرفان فى مادتين ، على ترتيبها ويتقارب فيهما الحرف الثالث مثل مدح ومده ، وهدل وهدر ، وبعثر وبحثر ، ومع هذا تفيد المعنى المشترك بينهما . وهذا ما يسمى بالاشتقاق الأكبر .

* ومن وسائله أيضا « الالحاق » وهو زيادة حرف أو حرفين على البناء زيادة غير مطردة فى افادة معنى ، ليصير ذلك التركيب بتلك الزيادة مثل كلمة أخرى ، فى عدد الحروف والحركات والسكنات ، كل واحد فى مثل مكانه فى الملحق به وفى تصاريفها [1] .

---

١ ـ شرح الشافية ٢/٥٢ .

وهذا اثراء لفظى وان كان لا يمنع من افادة معنى . وفيه يقول ابن جنى : « قال أبو على : لو شاء شاعر أو ساجع أو متسع أن يبنى بالحاق اللام اسما ، وفعلا ، وصفة لجاز له ، ولكان ذلك من كلام العرب ، وذلك نحو قولك : خرجج أكوم من دخلل ، وضربب زيد عمرا ، ومررت برجل ضريب وكرمم . ونحو ذلك . قلت له : أفترتجل اللغة أرتجالا ؟ قال : ليس بارتجال لكنه مقيس على كلامهم فهو إذا من كلامهم (١) .

* ومن طرقه : زيادة تلحق الكلمة لمجرد التوسع فى الصيغ إلا أن هذه الزيادة ليست قياسية وانما تقتصر على السماع ، ومن المؤكد أنها زيادة ذات دلالة الا أنها غير مطردة مثل عبدل للعبد ، وضيفن للذى يجىء مع الضيف ، ورعشن للجبان الذى يرتعش .

* ومن طرقه أيضا : توليد الألفاظ الثلاثية والرباعية والخماسية من الأصول الثنائية ، على مذهب القائلين بالثنائية ، وأن أصل اللغات كلها إنما هو الأصوات المسموعات كدوى الريح وحنين الرعد وخرير الماء وشحيج الحمار ، ونعيق الغراب ، وصهيل الفرس . . . الخ (٢) .

ونمط آخر : عبارة عن مزج كلمة من كلمتين أو أكثر مع الاحتفاظ بالرابطة فى اللفظ والمعنى بقصد الاختصار ، والابتكار ، مثل قولهم فى النسب إلى عبد شمس : عبشمى ، فالكلمة بهذه الصورة مزيج صناعى من

---

١ ـ الخصائص ١/٣٨٥ ، ٣٥٩ .

٢ ـ السابق ١/٤٦ ، ٤٧ .

أصوات كلمتين أخريين وجامعة لمعنيهما وهذا ما يعرف بالنحت أو الاشتقاق الكبار .

تعريف النحت :

هو نوع من الاشتقاق لأنه أخذ شيء من شيء ، ويشتمل على أصل وفرع ، ومناسبة لفظية ومعنوية ولكنه يختلف عن النوعين السابقين فى أنه أخذ كلمة من كلمتين أو أكثر على سبيل الاختصار ، وأنه قليل الورود فى اللغة .

ويعرفه العلماء بأنه أخذ كلمة من كلمتين أو أكثر بحيث تدل على ما يدل عليه ما أخذت منه ، بطريق الاختصار .

والهدف منه : الاختصار من الكلمات كثيرة الاستعمال ، والتيسير على المتكلم والتسهيل على السامع والتفنن فى التعبير ، وتوليد كلمات جديدة لمعان جديدة .

ظاهرة النحت قديمة :

عرف العرب هذه الظاهرة واستعملوها قديما ، وقد ورد في حديث ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ أن امرأته سألته أن يكسوها فقال : انى أخشى أن تدعى جلباب الله الذى جلببك به . قالت : وما هو ؟ قال : بيتك . قالت : أجنك من أصحاب محمد تقول هذا ؟ (١) .

---

١ ـ الفائق ٢٢٩/١ .

والأصل في أجنك : أمن أجل أنك : فحذفت : من ، والهمزة واللام من : أجل والهمزة من أنك . وخففت في كلمة واحدة . (١)

واستعملها الشاعر الجاهلي عبد يغوث بن وقاص الحارثي ، في قوله :

وتضحك مني شيخة عبشمية كأن لم ترى قبلي أسيراً يمانياً (٢)

ونبه اليها الخليل (ت ١٧٥ هـ) في كتاب العين ،قال : « ان العين لا تأتلف مع الحاء في كلمة واحدة لقرب مخرجيهما الا أن يشتق فعل من جمع بين كلمتين مثل : حي علي ، فيقال في ذلك « حيعل » ... فبنى من الكلمتين كلمة فهذا من النحت ، وهو من الحجة .. وما وجد من ذلك فهذا بابه (٣) .

كما نبه اليها ابن الأعرابي (ت ٢٣١ هـ) وذكر بسمل « اذا قال بسم الله (٤) ، والفراء « ت ٢٠٧ هـ » وابن السكيت « ت ٢٤٤ هـ » وذكر البسملة والهيلله ، والحوقله (٥) وكذلك أبو عكرمة الضبي « ت ٢٥٠ هـ » ووضحه المفضل بن سلمة « ت ٢٩١ هـ » في قوله : « إذا كانت الكلمتان يتكلم بهما في موضع ثم احتيج إلى أن تجعلا كلمة واحدة ، أضافوا إلى

---

١ ـ السابق والاشتقاق / أمين ص ٣٩٦

٢ ـ المفضليات ١ / ١٥٣ . والمقاييس ١ / ٣٢٩ .

٣ ـ العين ١ / ٦٨ ، ٦٩ .

٤ ـ الزاهر ١/١٠٣ ، ١٠٤ .

٥ ـ اصلاح المنطق ص ٣٠٣ .

الكلمة الأولى حرفا من الكلمة الثانية »[1] ومثل بالحولقة والبسمله .

واشتهرت أمثلته فى المعاجم وكتب اللغة ، إلى أن ظهر ابن فارس اللغوى (ت ٣٩٥ هـ) فأبرز هذه الظاهرة فى كتابه المقاييس ، وعمل على تطبيق قياس خاص به يقوم على « أن الرباعى والخماسى مذهبا فى القياس يستنبطه النظر الدقيق ، وذلك أن أكثر ما تراه منه منحوت ، ومعنى النحت : أن تؤخذ كلمتان وتنحت منهما كلمة تكون آخذة منهما جميعا بحظ »[2] ويؤكد فى الصاحبي أن العرب تنحت من كلمتين كلمة واحدة وهو جنس من الاختصار ، وذلك (رجل عبشمى) منسوب إلى اسمين وأنشد الخيل :

أقول لها ودمع العين جار ألم تحزنك حيعلة المنادى

من قوله « حى على » وهذا مذهبنا فى أن الأشياء الزائدة على ثلاثة أحرف فأكثرها منحوت ، مثل قول العرب للرجل الشديد : ضبطر من (ضبط) و (ضبر) وفى قولهم صهصلق من (صهـــل) و (صلق) وفى الصلدم من (الصلد) و (الصدم) وقد ذكرنا ذلك بوجوهه فى مقاييس اللغة »[1] .

وأفرده بالتأليف أبو على الظهير بن الخطير الفارسى العانى فى كتاب سماه

---

١ ـ الفاخر ص ٣٣ .

٢ ـ المقاييس ١/٣٢٨ .

« تنبيه البارعين على النحوت من كلام العرب [٢] .

ثم جمع الثعالبي والسيوطي كثيراً من أمثلته ، وتكلموا فيه .

أشهر أمثلة النحت :

* الجيعلة : من حي على .
* البسملة : من بسم الله .
* والهيلله : من قول لا إله إلا الله .
* الحوقلة والحواقة : من قول لا حول ولا قوة الا بالله .
* الحمدلة : من الحمد لله .
* السبحلة : من سبحان الله .
* الجعفدة : من جعلت فداك .
* الطلبقة : من أطال الله بقاءك .
* الدمعزة : من أطال الله عزك .
* البرقلة : من قولهم : لا تبرقل علينا ، ومعناه : لا تقصد قصد كلام لا فعل معه ، وهو مأخوذ من البرق الذى لا يتبعه مطر .
* العجمصى : ضرب من التمر وهما اسمان جعلا اسما واحدا: عجم وهو النوى ، وضاجم : واد معروف .
* عبشمي فى النسبة إلى عبد شمس .
* عبدري فى النسبة إلى عبد الدار .

---

١ ـ الصاحبي ص ٤٦١ .

* عبقسى فى النسبة إلى عبد القيس .
* مرقسى فى النسبة إلى أمرىء القيس.
* تيملى فى النسبة إلى تيم الله .
* يزنى فى النسبة إلى الرمح المنسوب إلى ذى يزن.

وقد ذكرت أمثلة غير هذه إلا أنها تشتهر شهرتها ، فضلا عن أن الصنعة كانت بادية فيها وأن بعضها حمل على الاشتقاق الذى هو أخذ كلمة من كلمة أخرى لامن كلمتين.

والأمثلة السابقة يشتق منهـا ، فيقال : بسمل ، وسبحل ، وحـولق وحوقل ، ودمعز ، جعفل، وتعبشم ، وتعبقس .

وبناء على الأمثلة السابقة نستطيع تقسيم صور النحت الى مايأتى :

١ ـ نحت فعلى : وهو أن تنحت من الجملة فعلا يدل على النطق بها أو على حدوث مضمونها . مثل : بسمل ، وسبحل ؛ وجعفل ويلاحظ أن الفعل المنحوت رباعيا . ويمكن التعبير بالمصدر عن هذا الفعل ، كالحولقـة والحوقلة . . الخ .

٢ ـ نحت نسبى : وهو أن تنحت من اسمين اسما واحدا يدل على نسبة إلى شخص أو قبيلة كمرقس : نسبة لامرىء القيس ، ويتملى نسبـه إلى تيم الله .

٣ ـ نحت اسمى وهو أن تنحت من اسمين اسما واحدا يدل على ماكان

يدل عليه الاسمان. مثل : العجمضى نسبة إلى (العجم : النوى) و (ضاجم : واد معروف)

٤ ـ نحت وصفى : هو أن تنحت من كلمتين كلمة واحدة تدل بمعناها على ما كانت تدل عليه الكلمتان ، نحـو : الضبطر (للرجل الشديد) من « ضبط » و « ضبر » .

هل النحت قياس ؟

نلاحظ فى الأمثلة المذكورة للنحت عددا قليلا مسموعا عن العرب ومنه عبشمى . وهو الذى ورد فى شعر جاهلى من قول عبد يغوث ابن وقاص الحارثى : « وتضحك منى شيخة عبشمية . . » . ورد مثله فيما سمع عن العرب قديما : عبد رى ، ومرقس ، وعبقس ، وتيملى .

وهذه أمثلة قليلة . ولاتنهض بنظرية يمكن قياسها فى غيرها عملا بقول النحاة : القليل لايقاس عليه [١] . ولذا رأى بعضهم أن يكتفى فى هذة الظاهرة بما قالته العرب ، أو سمع عنهم . قال أبو حيـان فى شرح التسهيل تعليقا على قول ابن مالك : قد يبنى من جزأى المركب فعلل بناء كل منهما وعينه . فان اعتلت عين الثانى كمل البناء بلامه أو بلام الأول ونسب اليه . . [٢] قال وهذا الحكم لايطرد ، انما يقال منه ماقالته العرب ،

---

١ ـ شرح المفصل ١ / ٧٦٧

٢ ـ تسهيل الفوائد ص ٢٦٣

والمحفـــوظ عبشمى فى عبد شمس ، وعبدرى فى عبد الدار ، ومرقس فى امرىء القيس ، وعبقسى فى عبد القيس ، وتيملى في تيم الله (١) .

ونرى ابن فارس حذرا فى تعبيره حيث يقول : أعلم أن للرباعي والخماسى مذهبا فى القياس يستنبطه النظر الدقيق ، وذلك أن أكثر ماتراه منه منحوت بالاضافة إلي قوله : « العرب تنحت من كلمتين كلمة واحدة وهو جنس من الاختصار » ثم قوله : « وهذا مذهبنا فى أن الأشياء الزائدة علي ثلاثة أحرف فأكثرها منحوت »

وذلك لأنه لم يبين هل هذا قياس مطرد عند العرب ، فيقطع به فان الأمثلة التى رآها أقل من أن تقوم بقياس . فاضطر إلي أن يعتمد علي مذهبه فى كون الأشياء الزائدة علي ثلاثة أحرف أكثرها منحوت .

والنحويون قبله لم يجعلوا من هذه الأمثله القليلة ،قياسا ، ومن ثم ألف كتابه « المقاييس » من أجل تأصيل هذه الظاهرة فى الكلمات الرباعية التى يمكن حملها علي النحت في مذهبه .

ونلاحظ أن الأمثلة المذكورة بعامة لظاهرة النحت أغلبها اسلامى وكلها لاتخضع لنظام واحد يمكن طرده فى قياس منظم ، فمنها مانحت من كلمتين وهو الأكثر مثل جعفل من : جعلت فداءك ومن نفس الكلمتين ينحت جعفد .

ومنه ماهو منحوت من ثلاث كلمات مثل : حيعل : من حى علي الفلاح

---

١ ـ المزهر ١/٤٨٥ .

وحى على الصلاة .

ومنه ماهو منحوت من أكثر من ذلك كالحوقلة من . لاحول ولاقوة إلا بالله . وحتى هذه يمكن أن تكون : الحولقة .

وأكثرها يؤخذ من معظم الكلمة الأولى، ومن حرف واحد فى الكلمة الثانية . مثل : بسمل ، وسبحل وحسبل وبرقل .

ومنها ماركب من حرفين من الكلمة الأولى وحرفين من الكلمة الثانية مثل : دمعز وجبعل .

ومن هذه الامثلة ما لاينطبق عليه النحت ، وإنما يعد من المشتق مثل هلل وهيهلل إذا قال لا إله إلا الله : لأن الفعل مشتق فى أول أمره من الهلال ، وكان أحدهم إذا رأى الهلال لأول بزوغه فى أول الشهر رفع صوته بالاخبار عنه بقوله : هل الهلال ، وبمعنى الزمن اكتسب الفعل هل ومزيداه هلل وهيلل معنى رفع الصوت ، ثم صار يطلق على كل مايرفع به الصوت[1] .

وقولهم : رجع ، وكبر ، وسقى : متخذة كلها من كلمة واحدة فى الجمل الآتية على الترتيب : انا لله وانا إليه راجعون ، والله أكبر أسقاك الله . وما أخذ من كلمة واحدة يكون من باب الاشتقاق لا من باب النحت[2] .

---

١ ـ الاشتقاق أمين ص ٢٠٤ .

٢ ـ السابق .

والشواهد الشتربة المذكورة لتدعيم أمثلة النحت ليس فيها إلا بيت واحد من الشعر الجاهلي ، وهو :

وتضحك مني شيخه عبشمية ... كأن لم ترى قبلي أسيراً يمانياً

وسائر الأمثلة اسلامي أيضا وهي :

لقد بسملت ليلى غداة لقيتها ... فيا بأبي ذاك الحبيب المبسمل [٣]

فداك من الأقوام كل مبخل ... يحولق إما ساله العرف سائل

ألا رب طيف منك بات معانقي ... إلى أن دعا داعي الصلاة فحيعلا

وما إن زال طيفك لي عنيقا ... إلى أن حيعل الداعي الفلاحا

أقول لها ودمع العين جار ... ألم تحزنك حيعلة المنادى

ونقل السيوطي [٢] عن ابن دحية في التنوير « شاهدا على الدمعزة : من قولهم : أدام الله عزك ، أو : « دام عزك » .

لازلت في عز يدوم ودمعزة

ولم ينسب من هذه الأبيات الا البيت الأول ، وهو لعمر بن أبي ربيعة أما سائرها ، فلا يعرف له قائل .

وبالاضافة إلى ماسبق ، يقول سيبويه : وقد يجعلون للنسب في

---

١ ـ ديوان عمر بن أبي ربيعه ص ٤٩٨ .

٢ ـ المزهر ٤٨٤/١ .

الاضافة اسماً بمنزلة جعفر ويجعلون فيه من حروف الاول والآخر ، ولايخرجونه من حروفها ليعرف ... فمن ذلك : عبسمي وعبدري ، وليس هذا بقياس . . (١) .

ويقول الرضى : وقد جاء شاذا مسموعا فى « عبد » مضافا إلى اسم آخر ، أن يركب من حروف المضاف والمضاف اليه اسم على فعلل بأن يؤخذ من كل واحد منهما الفاء والعين نحو عبشمى فى عبد شمس ، وإن كان عين الثانى معتلا كمل البناء بلامه نحو عبقسى وعبدرى فى عبد القيس وعبد الدار ، وجاء مرقسى فى أمرىء القيس من كندة . . والعذر فى هذا التركيب مع شذوذه أنهم أن نسبوا إلى المضاف بدون المضاف اليه التبس ، وان نسبوا إلى المضاف اليه نسبوا إلى ما لايقوم مقام المضاف ولايطلق اسمه عليه مجازا (٢) . . .

وسبق قول ابن مالك ورد أبي حيان عليه .

ويقول السيوطى : ومن شواذ النسب بناؤهم (فعلل) من جزئى المركب كقولهم فى عبد شمس : عبشمى وفى عبد الدار عبدرى ، وفى أمرىء القيس : مرقسى ، وفى عبد القيس : عبقسى . . (٣) .

ويقول ابن يعيش : وقد يصوغون من حروف الاسمين ماينسبون اليه فقالوا : عبشمى فى عبد شمس وعبدرى فى عبد الدار ، وعبقسى فى عبد

---

١ ـ الكتاب ٣ ٣٧٦ والاشتقاق ص ٤٢٠ .

٢ ـ شرح الشافية ٢/٧٦ والاشتقاق ص ٤٢٠ .

٣ ـ همع الهوامع ٢ ١٩٨ والاشتقاق ص ٤٢١ .

القيس ، كأنهم أضافوا إلي عبشم وعبدر وعبقس وذلك ليس بقياس وإنما يسمع ماقالوه عليه لقلته (١).

والمبرد يقول : وإنما فعلوا هذا اجتنابا للبس ، وهذا سماع ولايقاس عليه (٢) .

ومن ثم نرى أن النحت ليس له قياس يجرى عليه، وإنما هو فى الأمثلة السابقة لايتعدى أن يكون عدة أمثله حفظت وردت ولم يستثمرها العرب فى تطويع مفرداتها ونائها .

مذهب ابن فارس فى النحت :

يعد ابن فارس امام القائلين بالنحت بين اللغويين العرب المتقدمين ، فلم يكتف بالاستشهاد علي هذه الظاهرة اللغوية بالأمثلة القليلة الشائعة التى لا تجاوز الستين عدداً بل ابتدع لنفسه مذهبا حين رأى أن الأشياء الزائدة علي ثلاثة أحرف فأكثرها منحوت (٣) وبعضها الآخر ، اما مزيد بحرف أو موضوعة وضعا . وهذا ظاهر فى أنه لم يكن يرى أصالة الحروف فيما زاد علي الثلاثة ، من الأسماء والصفات والأفعال .

والموضوع منها لامجال فيه للنحت أو للزيادة . ولعله يعرف فيه غير

---

١ ـ شرح المفصل ١ / ٧٦٧ .

٢ ـ انظر المحصول شرح المحصول ٢/٦٩٤ .

٢ ـ دراسات فى فقه اللغة ص ٢٢٤ والمقاييس ١/٣٢٨ ، ٣٣٢ .

ذلك ، ومنه : البهصلة : المرأة القصيرة ، والبخنق : البرقع القصير ، والبهكنة السرعة ، والبحزج : ولد البقرة [١] .

ما لزائدة بحرف ، فيكون في الأسماء والأفعال والصفات ، وهذا قد يقع في أول الكلمة ، أو في حشوها ، أو في آخرها ، كما عليه في قوله :

ومن هذا الباب : مايجيء على الرباعي وهو من الثلاثي على ماذكرناه لكنهم يزيدون فيه حرفا لمعنى يريدونه من مبالغة ، كما يفعلون في زرقم وخلبن ، وهذه الزيادة تقع أولا وغير أول من ذلك : البحظلة والبرشاع . . . [٢] .

فما زيد في أوله حرف : من الأفعال بحظل بحظلة : قفز قفزان اليربوع ، فالباء زائدة على (حظل) قال الخليل : الحاظل الذى يمشي في شقة ، يقال : مر بنا يحظل ظالعا [٣] .

وبلذم : اذا فرق فسكت والباء زائدة . وانما هو لذم ، اذا لزم بمكانه فرقا لايتحرك [٤] .

---

١ ـ المقاييس ١/٣٣٥ .

٢ ـ السابق ١ / ٣٣٢ .

٣ ـ نفسه .

٤ ـ نفسه ٩ / ٣٣٣ .

ومما زيد بحرف في وسطه : (برجم يبرجم برجمة) اذا أغلظ فى الكلام ، فالراء زائدة وانما الأصل « البجم » قال ابن دريد : بجم الرجل يبجم بجوما : اذا سكت من عى أو هيبة فهو باجم [١] :

ومما زيد فى آخره حرف : برعم النبت : اذا أستدارت رؤسه والأصل « برع » اذا طال فالميم زائدة [٢] .

ومما زيد في أوله حرف من الأسماء : البرقع : وهو اسم سماء الدنيا فالباء زائدة والأصل الراء والقاف والعين ، لأن كل سماء رقيع والسماوات أرقعة [٣] .

ومما زيد فى حشوه حرف منها : البرشاع ، الذى لافؤاد له ، فالراء زائدة وانما هو من « بشع » [٤] .

ومما زيد فى آخره حرف : البرزخ : وهو الحائل بين الشيئين كأن بينهما برازا أى متسعا من الأرض ، فالخاء زائدة فى آخر الكلمة [٥] .

ومما زيد فى أوله حرف من الصفات : بردس : الرجل الخبيث والباء زائدة

---

١ ــ نفسه والجمهرة ٢١٣/١ ودراسات فى فقه اللغة ص ٢٥١ .

٢ ــ المقاييس ٣٣١/١ ودراسات فى فقه اللغة ص ٢٥١ .

٣ ــ نفسه ٣٣٤/١ .

٤ ــ نفسه ٣٣٤/١ .

٥ ــ نفسه ٣٣٣/١ .

وانما هو من « الردس » وذاك أن تقتحم الأمور [١].

ومما زيد فى حشوه : ناقة بلعك : مسترخية اللحم واللام زائدة وأصل المادة « بعك » تجمع [٢].

ومما زيد فى آخره : رعشن ، خلبن ، زرقم سمعنة نظرنة [٣].

والقسم الثالث وهو الرباعي المنحوت من كلمتين ثلاثيتين معروفتين يجتزأ من واحدة منها بأبرز حرف فيها ويضم الى الثانية مثل : بحثر الشيء : بدده من « بحث وبثر » وبلطح : ضرب بنفسه الأرض من « بطح وأبلط » اذا لصق ببلاط الأرض [٤]

ومنه بخدع من « بذع وخذع » : ومعنى بخذع : أفزع ، وكذلك معنى بذع . أما حذع فمعناها : قطع ومنه قول أبي ذؤيب :

فتناديا وتواقفت خيلاهما فكلاهما بطل اللقاء مخذّع [٥]

وبزمخ من بزخ وزمخ : وبزمخ الرجل إذا تكبر ، والبزخ : خروج

---

١ ـ نفسه .

٢ ـ نفسه ١/ ٣٣٤ .

٣ ـ نفسه ١/ ٣٣٢ ، ٣٣٣ .

٤ ـ المقاييس ١/ ٣٢٩

٥ ـ السابق ١/ ٣٣٠ .

الصدر ودخول الظهر والزامخ بأنفه هو الشامخ تكبرا [١] .

ومن الأسماء : البرقش « طاء » من « برش . ورقش » والبرجد : كساء مخطط من البجاد والبرد [٢] . ومن الصفات : البحتر : القصير المجتمع الخلق من « بتر » قطع و « حتر » : ضيق وقلل [٣] .

وأمثلة النحت الأخرى التي ذكرها ابن فارس في بعض مواد مقاييسه ليست الا براهين جديدة تؤيد مالحه في الحرف العربي من قيمة تعبيرية «تعويضية» أعني أنها تعوض المادة المختزلة المنحوتة فالعين من «صعب» ألفت وصف « الصقعب » للطويل من الرجال عندما أضيفت الى « الصقب » بمعنى الطويل على طريقة الحشو والاقحام . والراء من « ضبر » أنشأت وصف « الضبطر » للرجل الشديد حين ألحقت بـ « ضبط » على سبيل الكسع والتذييل ، ومثلها الميم في « لقم » كونت وصف «الصلعم» للشديد العض لدى الصاقها بـ «صلق» على أسلوب الكسع والتذييل أيضا [٤] .

وقد أحصى بعد الباحثين المواد المنحوتة من مزيدات الثلاثي عند ابن فارس ، فوجدها تربو على ثلاثمائة كلمة ، بالاضافة الى المحفوظ

---

١ ـ نفسه ١ / ٣٣١ .

٢ ـ نفسه ١/٣٣٠ ، ٣٣١ .

٣ ـ نفسه ١/٣٢٩ ،

٤ ـ دراسات في فقه اللغة ص ٢٥٧ .

المشهور ، واحتج بذلك على الذين يقللون من قيمة ظاهرة النحت متزريعين بقلة أمثلته [١] .

وابن فارس هو المسئول عن هذه الكثرة بقياسه الذى ذهب اليه وأخذ يطبقه على الكلمات الرباعية فما فوقها ، وهو الذى صرف الاهتمام اليه وقعد قواعده وأرسى أصول منهجه ، ولولا ذلك ما كانت لتقوم لهذه الظاهرة قائمة ، سوى الصدى الذى يتردد للأمثلة المحفوظة المشهورة وما نظن محاولة ابن فارس فى حمل الرباعيات والخماسيات على النحت الا اثباتا وتأكيدا لمذهب الكوفيين فى أن الحروف الأصلية فى الكلمات لاتزيد على ثلاثة ، وما زاد منها فليس بأصلى فيها [٢]

وقد رأينا مناصرين لهذه الظاهرة من القدماء يحاولون — على وجل — خلق قياس منها ، كابن مالك وغيره بدليل قول الشيخ أحمد الرفاعى [٣] على حاشية بحرق : (هو المسمى عند بعضهم بالنحت ، واختلف هل هو سماعى أو قياسى . . الخ .

ولاشك فى أن النحويين واللغويين بعد ابن فارس قدأطلعوا على مذهبه وتدبروه ، ومنهم من مال اليه ومنهم من أعرض عنه ، وهؤلاء كثيرون ، لأن جرأة ابن فارس فى اقتحام الرباعيات والخماسيات واخضاعها لمذهبه ، جعلت أغلبهم يحجم عن مناصرته ، فان التكلف ظاهرا فى كثير من أمثلته ،

---

١ ـ الدكتور صبحى الصالح فى دراسات فى فقه اللغة ص ٢٥٩ .

٢ ـ همع الهوامع ٢/٢١٣ والانصاف فى مسائل الخلاف ٢ ٤٢١ .

٣ ـ ص ٢١ .

ولم يؤثر عن القدماء خطوط واضحة تنقاد عليها هذه الظاهرة فضلا عن ايمان معظمهم بمذهب البصريين الذي يقر الأصول الرباعية والخماسية .

ومن المؤكد أيضا أن في معاجمنا العربية أمثلة غير تلك المشهورة ولكنها في مجموعها لاتنهض بحجة ابن فارس ، والقياس لاينعقد إلا باستقراء تام لأمور واضحة في كلام العرب لا كما يقول « يستنبطه النظر الدقيق » ولذا لم يجعل ابن جني واستاذه أبو علي الفارسي من الاشتقاق الاكبر قاعدة مطردة.

ومن الغريب أن يحاول بعض المحدثين مناصرة ابن فارس في مذهبه النحتي، ويهاجم ابن جني ويرميه بالتعسف والمبالغة في الاشتقاق الأكبر ، مع أن صنيع ابن فارس أكثر تعسفا وأبعد غورا في الاشتقاق الكبار (النحت) .

موقف المحدثين من ظاهرة النحت :

لايذهب المحدثون مذهبا بعيدا فهم يرون ندرة الأمثلة المنحوتة في العربية كما رآها القدماء ويلاحظون أن هذه الندرة ظاهرة في كل الساميات ، على العكس من اللغات الهندية الأوربية التي تكثر فيها هذه الظاهرة (وهذا من أهم الفروق التي تميز هاتين الفصيلتين إحداهما عن الاخرى ، ولاتختلف في ذلك اللغة العربية عن أخواتها السامية ، فالمفردات العربية المنتزعة من أصلين مستقلين أو من أصول مستقلة لاتتجاوز بضع عشرات ، ومعظمها لم يظهر فيه النحت الا عن طريق ظني يبدو فيه أحيانا كثير من ضنوف التعسف والتحايل . . [1]

١ ـ فقه اللغة د/ وافي ص ١٨٧ ط ٧ وعلم اللغه ص ٢٢٢ ط ٧ .

ويوضح بعض المحدثين الخطأ فى الظن بأن مثل بعلوم وخرطوم وحلقوم من الكلمات المنتهية بالميم منحوتة من (بلع وطعم) و (خرط وطعم) و (الحلق والطعم) « لأن الميم هنا هى علامة التنوين فى اللغة الحميرية القديمة ، وأن هذا الأصل قد تنوسى فى هذه الكلمات وأمثالها واستعملتها لهجات الشمال على توهم الأصالة فى الميم [١] .

ويرى الأب أنستاس الكرملى [٢] أن « لغتنا ليست من اللغات التى تقبل النحت على وجه لغات أهل الغرب ، كما هو مدون فى مصنفاتها ، والمنحوتات عندنا عشرات أما عندهم فمئات بل ألوف لأن تقديم المضاف إليه على المضاف معروف عندهم فساغ لهم النحت ، أما عندنا فاللغة تأباه وتتبرأ منه » .

على أن نشوء الرباعيات فى العربية قد ينتج عن تطورات صوتية داخلية، لم يلحظها ابن فارس ، منها :

— قانون المخالفة الصوتية (Diss Milation) وهو نوعان منفصل ومتصل ، فالأول مثل أخضوض وأصلها أخضرض من أخضر فصلت الضاد بين الراءين فقلبت واوا هروبا من الثقل الناشىء عن تجاور رائين . وكثيراً ما يحدث هذا فى الحرفين المتجاورين المدغمين .

---

١ — من أسرار اللغة ص ٩٠ .

٢ — مجلة لغة العرب المجلد الخامس ص ٢٩٣ سنة ١٩٢٨ .

وقد يفك الادغام ويصير الحرف المشدد حرفين مختلفين بقلب أول نصفيه إلى حرف آخر ، مثل : السنبلة = فى العبرية (Sibbolet) وفى الآرامية (sebbelta) بياءين مدغمتين فى باء واحدة ، صارت احداهما فى العربية نونا ومثله : القنفذ فى العربية = (Kuppcâ) فى الآرامية بالياء المشددة صارت أولاهما نونا فى العربية .

وقد يصير النصف الأول من الحرف المشدد راء أو لاما مثل : فرقع وأصلها فقع ، وبلطح أى : ضرب بنفسه الأرض وأصلها : بطح وتقرصع فى مشيته ، وأصلها : تقصع ، وطريق وأصلها : طبق [1] .

— وقد تكون الرباعيات فى العربية ثلاثيات فى السامية على وزن سفعل أو شفعل (أى ثلاثى زيد عليه حرف السين أو الشين) لكن هذا الوزن أهمل فى العربية ، وترتب عليه عد الزائد من أصول الكلمة مثل سقلبه : أى صرعه من قلبه ، وسملج : أى جرعه جرعا سهلا من ملج الصبى أمه : تناول ثديها بأدنى فمه فرضع ، وشبرق من برق [2] .

— وقد ينشأ الرباعى عن طريق استعمال وزن أفعال فى الشعر باقحام همزة فيه مثل « أطمأن » ثم تقلب هذه الهمزة عينا فيتولد أمثلة منها اقشعر وابذعر وقد تخفف الهمزة فتصير هاء فيتولد عندنا مثل : أكفهر

---

١ ـ التطور النحوى — برجستراسر ص ٣٤ وفصول فى فقه العربية ص ٦٠٣ .

٢ ـ الفلسفة اللغوية ص ٩٨ .

وازمهر ، وكل هذه الأمثلة نتيجة تطور من الثلاثى إلى الرباعى [١] .

ولهـذا يقول الشيخ عبد الله العلايلي : « أن هذا التخريج من ابن فارس إنما يدل على قدرة لغوية وتحليل عقلي فقط وليس صوابا في نفسه وذلك لأن العربى ابتدع المزيد الاشتقاقى باضافة الحرف على آخر الثلاثى ليدل المؤلف الحر فى دلالة الثلاثى تزيد فيه الخصوصية على مقتضى الحرف وهذا هذا هو الرباعى الأصم ، ومماثله مازاد على أربعة . . أما الرباعى المثلى أو الجلي فله عمل ثابت فى هذا النوع (النحت) بعينه من الرباعى لا شك فيه [٢] » .

ومن المعجبين بطريقة ابن فارس من قال : « وما من ريب فى أن القول بالنحت اطلاقا يفسد أمر هذه اللغة ولا ينسجم مع النسيج العربى للمفردات والتركيبات وربما أبعد الكلمة المنحوتة عن أصلها العربى .

ولسنا نبرىء ابن فارس من التكلف فى بعض ما ادعى فيه النحت .... ولكن تكلفه في بعض أمثلة النحت لا يعنى فساد مذهبه فيما جاء من كلام العرب على أكثر من ثلاثة أحرف ، كما أن تكلفه فى بعض المواطن لا ينفى أعتداله فى سائر المواطن الأخرى [٣] .

والنحت مقبول كوسيلة تعبير سليم يؤدى الهدف في العربية وهو الاختصار والتيسير وتوليد الألفاظ الجديدة . والاختصار أمر مشهور فى

---

١ — فصول فى فقه العربية ص ٣٠٦ . وأنظر ص ١٩٣ — ٢٢٦ .

٢ — مقدمة فى درس لغة العرب ص ٢٣٠ ، ٢٣١ .

٣ — د/ صبحى الصالح في دراسات في فقه اللغه ص ٢٦٧ ، ٢٦٨ .

تطور البنية فى كلمات اللغات بعامة وهو ظاهرة تعرف عند علماء اللغة المحدثين بـ (Hapolagy) ومعناها : حذف بعض الأصوات من الكلمة اختصاراً لبنيتها ، وتيسيرا للنطق بها [١] .

وقد تأكد لدى العلماء أن كلمات اللغة تأخذ فى التطور متجهة إلى الاختصار والاختزال من البنية الأساسية كنتيجة لميل الانسان فى كل شئونه الاجتماعية ومنها اللغة نحو أيسر السبل وأقلها مجهوداً .

والنحت كما عرفت صوره : نوع من الاختصار ، « وتدل الأمثلة الكثيرة التى رويت عن النحت أن لغتنا العربية قد قطعت شوطا بعيداً فى التطور اللغوى قبل أن تصطنع فى الآداب العربية المروية لنا عن العهد الجاهلي أو العصر الاسلامى [٢] .

ولكن الاختصار أو الاختزال فى النحت لا ينبغى أن يخرج عن أطار صنيع العرب فيما سمع عنهم وليس متاحا لكل أحد أن ينحت أو يختصر أو يختزل دون شرط أو قيد وإلا لكان مدعاة لخلط اللغة وفسادها وقد ضحك أبو حاتم السجستانى من رجل دخل عليه ، يحمل طفلا ، فقال له : يا أبا حاتم ما تسمى العرب الرجل إذا كان فى فرد رجله خف وفى الأخرى نعل ؟ قال : لا أدرى . قال : صدقت ، لأن فوق كل ذي علم عليم ، يقال : « مخفنعل » ياغلام ، فضحك أبو حاتم حتى شرق بريقه [٣] .

---

١ ـ من أسرار اللغة ص ٩١ .

٢ ـ السابق ص ٩٤ .

٣ ـ مراتب النحويين ص ١٣٢ .

ومثل هذا يؤدى إلى نوع من الالغاز والابهام فأنى للسامع أن يفهم أن (المشلوز) الكلمة منحوتة من (مشمش) و (لوز) وأن (قبتاريخ) مختصر : قبل التاريخ وأن (كلغرى) منسوب إلى كلية اللغة العربية ... الخ ؟؟ .

ولهذا ذهب بعض المحدثين [١] إلى أن النحت يشوه كلم العربية وهو يقصد النحت المرتجل والنحت الذى تكلفه ابن فارس فقد بناه على الظن والتخمين والتأويل البعيد .

ولو لم يستعمل الحذر فى استخدام النحت ـ ان أبيح استخدامه ـ لأدى إلى مالا تحمد عقباه من خلط العربى بالأعجمى المعرب ، وهذا ما صنعه ابن فارس حين حكم على أن كلمة (جردب) .

ـ من قولهم : جردب الرجل طعامه : اذا استره بيده لكى لايتناول ـ مأخوذة على طريق النحت من كلمتين (جدب) التى تدل على منع الخير ، و (جرب) التى تدل على الجراب ، فكأن الرجل جعل من يديه جرابا يعى الشيء ويحويه [٢] .

والحقيقة أن الكلمة أصل واحد أعجمى هو : « كرده بان » بمعنى حافظ الرغيف [٣] .

ومن هذا حكمه على كلمة « الفرزدقة » وهى القطعة من العجين بأنها من

---

١ ـ د/ مصطفى جواد فى المباحث اللغوية ص ٨٦ .

٢ ـ المقاييس ٥٠٦/١ .

٣ ـ المعرب ص ١١٠ .

(فرز) و (دق) ، لأنه دقيق عجن ، ثم أفرزت منه قطعة [١] . والكلمة فارسية « براده » وعربت إلى « فرزدقة » [٢] .

— وادعاء النحت في كلمة قد يفوت الغرض اللغوى منها دون داع ، ومن ذلك أن كلمة الجذمور مبالغة فى معنى الأصل والأصل فيها : الجذم والجذر أشبعت بالواو وأضيفت اليها الراء تذييلا أو الميم حشوا لتؤدى معنى المبالغة بالتطويل ، وهذا نهج معروف فى العربية .

فلو دعينا فيها النحت كما زعم ابن فارس [٣] لكانت مركبة من (جذم) و (جذر) وكلاهما بمعنى واحد دون زيادة أو نقص وهو (الأصل) وكان تطويلها منافيا لهدف النحت الذى هو الاختصار ولهذا وقف اللغويون المحدثون موقفا يتسم بالاعتدال والحذر وآثروا الوقوف بالنحت عند حد المسموع عن العرب ، واذا دعت الضرورة الملحة لانشاء أو توليد ألفاظ جديدة نظراً لما جد من الفاظ حضارية حديثة لم يعرفها العرب يمكننا استخدام هذه الظاهرة كنوع من أنواع الاشتقاق يضاف إلى وسائل الوفاء اللغوى بحاجة الانسان على مر العصور .

ولكى يتم ذلك ينبغى أن نلتزم الاطار اللغوى العربى من حيث :

— أوزان الأبنية العربية وأحكام صياغتها كما هو معلوم فى أبنية الأسماء والصفات والأفعال .

---

١ ـ المقاييس ٤/٥١٣ .

٢ ـ المعرب ص ١١٠

٣ ـ المقاييس ١/٥٠٦ وأنظر دراسات فى فقه اللغة ص ٢٢٩ .

— النزول على طبيعة العربية فى تأليف حروفها وتناسقها .

— الوقوف على أكبر قدر من أسرار اللغة العربية والتمتع بذوق سليم فى صوغ المنحوتات .

وعلى هذا أصدر المجمع اللغوى القاهرى قراره بجواز النحت عندما تلجىء اليه الضرورة سنة ١٩٤٨ م [١] .

---

١ مجلة المجمع اللغوي ١٥٨/٧ .